دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق

م. م. سعد عبد السادة مزعل

الجامعة المستنصرية مركز المستنصرية

للمراسات العربية والدولية

الكلمات المفتاحية: اللون. العربي. الدلالة. شعراء

المقدمة:

يتناول بحث دلالة الالوان في الشعر التسعيني في العراق، رمزية الالوان عند الشعراء ودلالاتها الرمزية في شعرهم ، كما تم تقسيم البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الاول اللون الاخضر، المبحث الثاني اللون الابيض ، أما الثالث فالأسود، وقد جرى اختيار هذه الالوان والتركيز عليها لما لها من الدلالات الموحية والمعبرة في أجمل الصور ، فالأخضر هو رمز الحياة والسرور وهو المعبر عن الحياة والخصب والنماء والأمل والسلام والأمان والتفاؤل وهو لون الربيع، والطبيعة الحية، والحدائق، والأشجار والأغصان والبراعم. أما الأبيض فهو رمز الطهارة والنور والغبطة والفرح والنصر والسلام، وأما الأسود على النقيض من هذين اللونين فهو رمزاً للموت والظلم وخراب النفوس لما له من انطباعات تؤثر في النفوس من الناحية السلبية.

(التمهيد)

الدلالة لغةً :

لو تطرقنا الى علم الدلالة الذي يدرس دلالة الوحدات المعجمية، ومعناها، وأيضاً هو علم الذي يهتم بدراسة القواعد والشروط التي يجب توفرها بالكلمة، فهو علم قائم بذاته، الا انه لا ينفصل عن العلوم الاخرى، فعلم الدلالة علماً قديماً متطور مع مرور العصور .

تعريف الدلالة لغةً واصطلاحاً : الدلالة في المعجم :

قال ابن فارس: " الدال واللام أصلان: أحدهما: إبانة الشيء بأمارّة تتعلمها، والآخر: اضطرابٌ في الشيء. فالأوّل قولهم: دلّلتُ فلاناً على الطريق. والدليل: الأمانة في الشيء. وهو بين

دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق

الدَّلالة والدِّلالة^(١) " وفي اللسان: " ودلَّه على الشيء يدُلُّه دَلًّا ودلالةً فاندلَّ: سدَّده إليه... والدَّلِيل: ما يُسْتَدَلُّ به، والدَّلِيل: الدَّالُّ، وقد دلَّه على الطريق يدُلُّه دَلالة ودلالة ودلولة والفتح أعلى، والدَّلِيل والدَّلِيلِي: الذي يدُلُّك^(٢).
وفي القاموس: " ودلَّه عليه دَلالةً فاندلَّ: سدَّده إليه. والدَّلِيلِي كخَلِيْفِي: الدَّلالة أو علمُ الدَّلِيلِ بها ورُسُوخُه " ^(٣).

الدلالة اصطلاحاً:

عرف الاصفهاني الدلالة بقوله: " اعلم أنّ دلالة اللفظ عبارة عن كونه بحيث إذا سُمع أو تُخِيل لاحظت النفس معناه " ^(٤). أما ابن النجار فعرفه: " كون الشيء يلزم من فهمه فهم شيء آخر فالشيء الأول: هو الدال، والشيء الثاني: هو المدلول " ^(٥).
أما المحدثين فلهم تعريف لعلم الدلالة بقولهم: هو " العلم الذي يدرس المعنى، أو دراسة المعنى، أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى " ^(٦).
فالسبب الذي ادى الى ظهور علم الدلالة هو الرغبة من قبل علماء اللغة بإيجاد علم يدرس ومهتم بالعلاقة بين اللفظ والمعنى، والعلاقة بين الالفاظ المفردة والالفاظ التي تدخل بالجملة كألفاظ مركبة، وبيان وتوضيح أثر اللفظ في السياق واللاحق، باختلاف السياق الذي يوضع به^(٧).

أما المهتم من القراء لشعر الجيل التسعيني يجد إنّ هذا الجيل قد ارتكز بجعلهم دلالة الصورة الشعرية افقاً واسع لكل المقاصد: من دلالة، وتشكيل ملون، فالانعطافة الكبرى لقصيدة الشعر التسعيني هي التي أعادت القصيدة التسعينية الى مملكة الشعر، فنتج ذلك التركيز عن التجارب والامتدادات للأجيال التي سبقتها في الرؤية الشعرية، فأصبحت أكثر واقعية للشعر؛ بارتباط الشاعر بتاريخه، وبيئته، والاهتمام بالتجربة الذاتية، فهي من أدق السبل التي تتيح للنص الشعري بأن يمتد الى أطول فترة زمنية؛ لأنه ينقل تجربة جيل كامل عبر التشكيل الصوري الموسيقي بلغة شعرية جميلة مؤطرة بإطار ذو مناخ مهيباً لتوصيل التجربة الشعرية.

اللون لغة، ومرادفات إفصاح، وتقنية توصيل عالية، تصل إلى حد الاكتفاء بها أثناء غاية التوصيل من دون اللجوء إلى معززات ترفد المعنى المقصود إيصاله، وهذا ما يكون موجوداً في عالم الإعلانات وبمساحة كافية لليقين، تعتمد هذه اللغة - اللون - على ما هو مختزل في الذهن العام، وموآتبات التعامل مع هذه اللغة، إذ يؤخذ ويحدد المجال المرفود

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

بالقصد من ما هو مختوم إلى ما هو مرسوم، حيث إن المختوم هو الانطباع الذهني المقابل لوجود اللون، والمرسوم هو نسق القصد الذي استخدم اللون فيه كوظيفة توصيل .

أما بالنسبة لدلالة الألوان عند الشعراء فلها مفهوم خاص عند كل شاعر ونمط الكتابة الخاص به استناداً الى تجربته الخاصة ، أما المفهوم العام لدلالة الألوان عند علماء اللغة فقد عرفها ابن منظور في لسان العرب بقوله: "اللَوْنُ: هَيْئَةُ كَالسَّوَادِ وَالْحُمْرَةِ، وَلَوْنُهُ فَتَلَوَّنَ وَ لَوْنٌ كَلِّ شَيْءٍ ، مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ أَلْوَانٌ. وَالْأَلْوَانُ: الضَّرْبُ. وَاللَّوْنُ: النَّوعُ. وَفُلَانٌ مُتَلَوِّنٌ أَيْ لَا يَثْبُتُ عَلَى خُلُقٍ وَاحِدٍ، وَاللَّوْنُ: الدَّقْلُ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ النَّخْلِ؛ وَاحِدَتَاهَا لَيْنَةٌ، كُلُّ شَيْءٍ مِنَ النَّخْلِ سِوَى الْعَجْوَةِ فَهُوَ مِنَ اللَّيْنِ، وَاحِدَتُهُ لَيْنَةٌ، وَقِيلَ: هِيَ الْأَلْوَانُ، الْوَاحِدَةُ لَوْنَةٌ فَقِيلَ لَيْنَةٌ، بِالْيَاءِ. وَالْجَمْعُ لَيْنٌ وَلَوْنٌ وَ شَبَّهَ الْأَلْوَانُ بِالتَّلَوِينِ وَشَبَّهَ أَلْوَانَ الظَّلَامِ بَعْدَ الْمَغْرَبِ يَكُونُ أَوْ لَا أَصْفَرَ ثُمَّ يَحْمُرُ ثُمَّ يَسُودُ بَتَلَوِينِ البُسْرِ يَصْفُرُ وَيَحْمُرُ ثُمَّ يَسُودُ. وَلَوْنٌ البُسْرُ تَلَوِينًا إِذَا بَدَأَ فِيهِ أَثَرُ النَّضْجِ"^(٨). وفي مقاييس اللغة" واللام والواو والنون: كلمة واحدة وهي : لون الشيء كالحمرة والسواد"^(٩). أما اللون اصطلاحاً في الموسوعات الحديثة، ففيه تفصيل في ضوء تطور العلم" خاصة ضوئية تعتمد على طول الموجة، ويتوقف اللون الظاهري لجسم ما على طول موجة الضوء الذي يعكس"^(١٠).

وفي مقدمة الألوان التي تسيدت على بقية الألوان لونا الأبيض والأسود، فهما بداية لوان متضادان، لهما ارتباط مشترك بالليل والنهار، والظلمة والنور، لذا هما لوان متداولان في جميع الأزمان والحضارات، وأما اللون الذي يأتي تباعاً بعدهما مكانة فهو الأحمر، فهو من أوضح الألوان لارتباطه بالدم، وأما الأخضر فهو لون الترف والخصوبة كما له ارتباط بلون السماء مرتبطاً، فكانت العلاقة بين بالأسماء ومحركاتها علاقة طبيعة ولفظ ضمن الدلالة .

فالأسود لفظ يدل على الغموض والغوص في الأعماق حيث الظلمة والعتمة، ولدلالة الأصوات فيه استشف من دلالة حدة الدال واتساع الواو، أما اللون الأبيض فهو لفظ يدل على الإشعاع والانطلاق لما فيه من اجتماع الياء الدالة على الاتساع، والضاد بما فيها من نفور وإفلات من المركز، فهو المقابل الصوتي للون الأسود، دلالة وتركيباً صوتياً. وفي المقابل الأخضر والأصفر؛ فالصفرة لون يدل على الذبول والشحوب والجفاف والمرض، لما فيه من خفة في الفاء وما يتأتى من تكرار الراء، الدالة على استمرار الصفة الصوتية السابقة، مما يجعل الصوت كنبته هزيلة جافة تطير مع حركة الريح، بينما الأخضر وعلاقته بالخصب والحياة"^(١١). وعلاقة ذلك بالقرابين والحروب، يليه اللون الأخضر فهو لون مستقر ثابت لارتباطه بالنبات والخصب والماء والحياة، يليه الأصفر وهو حالة من حالات الحياة وله

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

انعكاسات نفسية متباينة بين البيوسة والجفاف والشحوب إلى حالة الحصاد وجني الثمار فترجع أهمية الأصفر في العصر الجاهلي لاقتترانه بالشمس، أما الأزرق فهو الأقل شيوعاً في الموروث الإنساني لاسيما أن ارتباط اللون الأزرق وعلى قلته في ذكره عند العرب إلا أنه مرتبط ارتباط وثيق بالسماء^(١٧). وإذا كان هذا معظم ما ذكر عن الألوان في المعاجم القديمة ، إلا أن المحدثين كانت لهم آراء مهمة في الألوان لا تقل أهمية عن ما ذكر. فاللون يعطي الحرية للنص الشهري في الكتابة ؛ لما له من المجاورة في إيصال المعاني عن طريق النص ، كما للألوان دلالات راسخة تتماشى مع الأنساق المخلفة في الكتابة ، فالاعتماد على هذه الدلالات هو اعتماد على المساحة التي تخزن داخل الإدراك من حتميات الدال في السياق المتعارف عليه والمتعايش معه ذهنياً، فاللون الأبيض لون بارد يثير الشعور بالهدوء والطمأنينة^(١٨). وإيضاً يرمز إلى الفرح ، كما يرمز إلى النقاء في الورد، وله من الدلالة النقية الجميلة في إيصال الأمان من الحياة الدنيا إلى الاتجاه الآخر بالأخرة ، وبالعكس عن هذا اللون يضاهه اللون الأسود ، الذي يرمز للموت والظلم وخراب النفوس ، كما له من التأثير على النفس عند النظر إليه ؛ وهذا يرجع إلى الحالة النفسية المتشائمة من هذا اللون^(١٩).

" لكن على الرغم من أن الأسود قد كره في بعض الجوانب إلا أنه له من الرمزية المحببة في جوانب كثيرة ، منها الشعر ، فالشعراء قد ذكروا في أشعارهم العيون السود والشفاه وتغنوا بها كثيراً، كما أن للألوان الأخرى دلالات نفسية ترتكز في الأذهان، فالأصفر لون المرض والشحوب والجفاف، والأخضر لون الرخاء والوفرة والخصوبة لما له من الارتباط الوثيق بالنباتات والزراعة"^(٢٠). وأما اللون الأحمر فله من الدلالات العميقة الغير محدودة، فهو يثير في النفس مشاعر مضطربة فهو لون الدم والضحايا ، هو لون مخيف مرتبط يؤثر نفسياً، مثل ما وجد في النصوص القديمة الأسطورية (أوغاريت) التي قامت بها (عناة) لما لها من وجد النشوة والفرح والبهجة في ذلك اللون (الأحمر) من سفك للدماء والقتل ، كما هو لون الحب والجمال والعاطفة ، كما هو لون المشاعر والأشواق الملتهبة ، وإيضاً هو من الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس واشتعال النار والحرارة الشديدة، وإيضاً هو من الألوان الساخنة التي استمدت دلالتها من الشمس واللهيب^(٢١).

المبحث الأول

الأخضر:

ونظراً إلى الرؤية الواضحة للألوان ودلالاتها سوف نعرض إلى اللون الذي هو رمز الحياة والسرور وهو (اللون الأخضر) لأنه يهدئ النفس ويسرها وهو تعبير عن الحياة

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

والخصب والنماء والأمل والسلام والأمان والتفاؤل وهو لون الربيع ، والطبيعة الحية والحدائق والأشجار والأغصان والبراعم.
فالشاعر نجاح العرسان بقصيدته يقول :

مذ قيل للدنيا .. تعري للوجود، وقفت حباً مستحيلاً..
وأمام زقزقة اخضرارك، واصفرار تحت عرشك كي أقولا..
صلب الحياء فراشة الكلمات في شفتيّ _ لا ادري _ طويلاً/ فبأي ساقية ... جرحت
مسافتي
وسكبتني عطشاً جميلاً/ وبكل أنواع الفراش.. حرثتني/ وزرعت.. أوردتي خيولاً^(١٧).

كما اسلفنا أن اللون الاخضر هو رمز الرخاء والخصوبة فهنا الشاعر يحاول ان يبين بقصيدته الصورة اللونية التي تدل على بدايات الحياة بقوله: (زقزقة اخضرارك)، ورمز الى بدايات الحياة بزقزقة العصافير ، فقد اشار الى اللون الاخضر بأجمل الصور التي تدل على البراعم الخضراء والحياة ، وان نظرنا الى ما رمز به الشاعر مكن منظور اخر نجده قد استعمل متضادين هو الاخضر الدال على بدايات الحياة والاصفر بقوله : (واصفرار تحت عرشك).

والذي يدل على نهاية الحياة وقسوة الزمان فالشجر يورق بالحياة وبدايته الاخضر وينتهي بالشحوب والموت بالاصفرار.

ونرى صورة لونية اخرى مشابهة عند الشاعر محمد البغدادي :

يكادُ يَخْضِرُ حُزْني حينَ تلمَسْني أنفاسُها كاخضرارِ الماءِ في الشجرِ^(١٨).

نرى الشاعر قد تأثر وانقاد الى معطيات اللون الاخضر والتي قد استعملها في تشبيه الانفاس بالاخضرار في الشجر ؛ أي: أنها ب(انفاسها) كأنما تبعث الحياة ، مثل ما يبعث الماء الحياة في الكون . أما في قصيدة اخرى لنفس الشاعر

البغدادي يقول :

جُرحي النَّخيلُ سماءُهُ وتزيّفُهُ هيرانٍ يحترقان فوق تُرابِهِ

وقصيدتي وأنا نسيلُ معاً على وطني فيخضُرُ أنجناؤُ قِبابِهِ^(١٩).

وما بين شموخ جرحه وتفاصيل العراق انساباً سويةً هو وقصيدته، ليبثا الحياة ويرسمان المعاني المصحح بها والداعية للاستغراب، راسماً عبر (إخضرار أنحاء القباب) ما يفضي إلى معاني مزج التأريخ والحضارة والقداسة. ثم يخاطب وجود من لا يصدق بكل هذا، فيضع نفسه والقصيدا شاهداً على كل ذلك، ويرمز الشاعر عن طريق (فقصيدتي) إلى كل هواجسه الحقيقية التي توزعت بين امتداد تأريخه الشعري، وليس تحديداً أن تكون هذه القصيدة فقط هي الرد على الاستغراب الحاصل أمام إعلانه عن علو شأن وطنه وتميزه، لأنه جمع مع القصيدة (أنا)، فيكون قد جعل من القصيدة هويته ومصدق انتمائه لوطنه، ثم جعل من توأميته مع القصيدة هوية الدليل على وطنه الذي يمتلك كل مشاهد المجد وديمومة الحياة. كما نرى في قصيدة أخرى للشاعر مدلولات أخرى للون الأخضر بقوله: (إخضرار إنحاء القباب) وبها دلالة المزج القداسة تأريخياً وحضارياً، فالأخضر في الفكر الديني رمزا الإيمان والخير، وأنه أكثر انتشاراً في الكتب الدينية الإسلامية كما نرى انه مستخدم في قباب المساجد.

أما الشاعر نجاح العرسان فيقول:

صلبت احتمالاتي على ذيل سعفةٍ لأرعى عراقاً كلما أخضر بهملُ
سقيت مزاج النهر لطف حمامةٍ فكلّ الذي من حوله اليوم بهدل^(٢٠).

فالشاعر بين صلب احتمالاته وقلقه، على ذيل السعفة التي تتمايل كيفما تشهي الريح، وبحركة تدل على الاضطراب والقلق، ألا إنه جعلها ذات ازاحة تدل على الحياة بـ (كلما أخضر بهمل)، ف(الأخضر) الذي هو عنوان الرخاء والحياة، جعل مدلوله هو اهتزاز السعفة كما تدب الحياة بالمخلوقات.

وقال الشاعر فائز الشرع :

أبيعُ جرحي بساعاتٍ مؤجلةٍ ولو بكسرةٍ صدقي ساعة العتبِ
فهل يعودُ لهوري سرَّ خضرته ولو زرعت ظهور البط بالقصبِ^(٢١)

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

إنَّ الشاعر في توظيفه الدلالي قد بين متناقضين اثنين، هما، الأصفر والأخضر، ف(الأصفر) لون الشحوب والفقر والمرض ، ونقيضه الاخضر فهو لون الحياة والرخاء، (فهل يعود لهوري سر خضرته ... ولو زرعت ظهور البط بالقصب)، فهنا انزياح نفسي يدل على الارتياح ، والشك ، من المستقبل، وذلك بإشارته الى القصب الذي يبدأ مرةً أخضر وأخرى أصفر ، كما أنه استعمل الاستفهام ب(فهل يعود) ، فالشك وعدم اليقين هما متلازمتين عند الشاعر، وهذا ما تفرضه العلاقة النفسية بين اللون وسلطة الإيحاء المنشود من الاستخدام اللوني في الصورة الشعرية.

فإن الشاعر (أحمد الشيخ علي) لديه انسيابية أخرى فيرى محبوبته ك(فراشة خضراء) يقول:

وكم كبرت .. وصرت لي وطناً / وها إني أعيد الحلم ثانيةً، لعلّي استفيق مبللاً بالضوء

تحت عرائش العنب العتيقة / كي أراك فراشةً خضراء / لائذةً بأردان القميص...!!^(٢٧).

فتشبيهه اللوني الاخضر الذي أعطاه الحياة عن طريق تصورها بالفراشة فهي مصداق الترافة والجمال، كما هو اللون الاخضر الذي هو مصداق ورمز الحياة الممتلئة بالنماء والجمال والسعادة. وعلى الرغم من أن الفراشة لا تكون باللون الاخضر، إلا أنه بين أن اللون يستطيع بمدلولاته أن يعبر المحدود ، ويكون ذات بعد أوسع في عملية الصورة والمدلول عن طريق الصورة اللونية في النص.

المبحث الثاني

الأبيض :

إن للون الابيض رمزية وتقليد عالياً في الدلالة وترميزها المعنوي والسيميائي، فهو «رمز الطهارة والنور والغبطة والفرح والنصر والسلام»^(٢٣). يقول: الشاعر مضر الالوسي

وابيض صبرُ المرايا كي أعود إلى حنينها بقميص خبأ الصبرا
يعقوب.. هل صدقت الرؤيا؟ أم دمهم على قميصي وهل ما زلت مذكرا
وقفْتُ.. أعصرُ خمراً من سنابيلهم وفوق رأسي كانوا الخبز والنسرا
من ألف سجنٍ ولي رؤيا تراوذي ولي عزيز على ابوابه حضرا^(٢٤)

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

إنّ الشاعر في المقطع الثاني من القصيدة يحاول أن يبين من خلال الصورة الحية للمرايا وتبيان نفاذ الصبر ، فالصورة اللونية التي يبين الشاعر ماهي من خلال (وابيض صبرُ المرايا)، فهو قد اشار الى عيني النبي (يعقوب) وقد تحولت من اللون الاسود الى الابيض حزناً على ولده (يوسف) ، فنرى صورة لونية مغايرة لما عرف اللون الابيض وأستعمل في غير دلالاته الفرحة والمبهجة ، وقد اعطى للون الأبيض انزياح عاطفي عميق ، من خلال دلالاته الحزينة.

يقول الشاعر حازم التميمي في قصيدة له بعنوان (مسيحُ الماء والدَّهَبُ):

يوماً سيكبرُ طفلُ النّجمِ في القَصَبِ ويسكُبُ الماءُ ضوءاً في فَمِ الرُّطَبِ

يوماً سيَتَلَوُ عليكم ما تيسَّرَ من أي الجراحِ ويخطو في ثيابِ نبي

يوماً سيذبحُ (عبدُ الشطِّ) تحرسُهُ حمّالُهُ الضيِّمُ لا حمّالُهُ الحطبِ

يوماً سيحفرُ بئراً ليت أخوتهُ يستبدلونَ حمامَ اللهِ بالدَّنبِ

يوماً سيتزعُّ كفاً من عباءتهِ بيضاء، سيرتمها الأولى بلا ندبِ

يوماً سيصنعُ من جرّيدِ ديرتنا نطّاحةَ القبرِ لا نطّاحةَ السَّحْبِ

أقولُ : يوماً ولي عرّافةٌ صدقتُ بعضُ النبوءاتِ في جبي، وفي الكُتبِ

نبوءةٌ سلّمنا بومَ غريتنا كبشاً ذبحناهُ قرباناً لمغترِبِ^(٢٥)

إنّ للرمز الذي جاء به الشاعر من قصة النبي موسى وهي القصة التي واجه به موسى سحرة فرعون فيقول: (يوماً سيتزع كفاً من عباءته ... بيضاء سيرتمها الأولى بلا ندب)، فالشاعر يأخذ رموزه الأيحاءية من هذه القصة والتي يشير فيها الى الأيد البيضاء التي هي عكس ما تظهر من استطاعته من تلفظ السحر الذي هو دالته السحر (الأسود)، فكان استخدام الابيض الذي هو عكس ومضاد الاسود، فكان الشاعر محتفظاً بالإيقاع (الحكواتي)

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

الذي يأخذ منه رموزه التي تطرز النص بألوان الإيحاء، ناقلاً (السحر) من أجوائه المليدة بالظلمة، إلى استخدامه رمز (الكبش) في قصة النبي إسماعيل (عليه السلام)، موصلاً طرفي خيط الترميز بين (السحر والكبش) بتوصيلة لها علاقة بـ(السحر) من جانب و(النبوءة) التي احتوت تفاصيل القربان في قصة النبي إسماعيل (عليه السلام) من جانب آخر.

وفي قصيدة الشاعر حازم التميمي (جنوب قلبك ملح) يقول:

جاوَرَتْنَا الرَّؤْيُ فَمَا كَانَ مِنَّا غَيْرَ أَنْ يُحَسِّنَ الْبِرَاحُ الْجَوَارَا

مَا حَطَطْنَا الْجِدَارَ عَهْدَ أَمَانٍ غَيْرُنَا ذَاكَ مِنْ يَحِطُّ الْجِدَارَا

نتشهى البياض لا نصطفيه مذ رسمنا على الحروف السّمارا^(٢٦)

يعطي الشاعر دلالة للون الأبيض الذي استخدمه في إبراز الشجاعة والوقوف بالملامات عند الشدائد، كما أتى استخدام اللون الأبيض في (البياض لا نصطفيه) تشبيهاً بالسيف، وبياض السريرة عند المواجهة، وذلك سر شجاعتهم بعدم الخوف والاحتماء .

يقول : بسام صالح مهدي في قصيدته (مدينة الليل)

مدينة الليل والأبواب مقلّة	وفي طريق هلاكٍ نام زائرُها
أناسُها عثرتُ في شوارعها	مدينة كل من فيها يحاصرُها
والليلُ يصرخُ والأشجارُ خائفةٌ	من الظلام ولا شمسٌ تناصرُها
مدينة هزمتها نفسها قلقاً	والآن تبيضُ في شعري خسائرُها ^(٢٧)

إنّ الشاعر في هذه القصيدة التي يحاول أن يبرز ما هي هذه المدينة ، التي ابوابها مغلقة وطرقها تهلك كل من زارها ، والظلام يسيطر عليها من كل حذب ، فيأتي في لون مغاير للخوف (والآن تبيض في شعري خسائرُها)، يأتي باللون الأبيض كي يستكمل الصورة الشعرية ، ويبين أن هذه الآفات المظلمة التي تآكل مدينته قد وضحت عنده مثل البياض ، الذي هو لون بارز وواضح .

وما قام به الشاعر حمد دوخي الذي جعل الألوان صاحبة السلطة القوية في النص الشعري ، والتي عملت بصورة مباشرة في بلورة رؤيته ومدلولاته في النص

يقول:

ونحنُ الذينَ افتتحنا الرحيلَ إلى الشامِ / (زرقاؤنا) لم تقلْ/ أن نخلَ الجزيرةِ يمشي
لهذا .. أضعنا الظلالَ . وكنتُ حلمنا بورِدٍ/ يجيء من البحرِ
كان حديثُ الرحيلِ عن اللونِ/ قال المكلفُ :
لُونُ الوريقاتِ أحمرٌ/ شاهدتهُ في الخنادقِ يجري/ من الصَّحْبِ والعاشقينِ
وأبيضُ لُونُ التويجِ/ ضمَّد موجتنا قبلَ عشرينَ وغابا/ وقال المثقَّفُ:
هو اللونُ أخضر يا صاحبي/ مرَّ في أفقنا قبلَ قرنِ،
وطارتُ إليه عيونُ الرفاقِ حراباً) وناثلةً) رَبَّتْ كَفْها ثم قالتُ : (لُونُ) الأرامِلِ لُونٌ دخيلٌ ،
ولولاهُ ظَلَّتْ حمامائنا تجمَعُ القمَحَ في دارنا/ وعُدنا نفتشُ بين العواصِمِ/ عن ظلِ
صُبَيْرَةٍ..^(٢٨)

إن للنص الشعري العادي تفاصيل مرحلية للنمو الشعري ، التي تتفاعل مع الحدث الشعري ونموه، في توثيق المصاديق الشعرية المعبرة عن التجربة الشعرية، لكن في نص الشاعر حمد محمود الدوخي، جعل اللون هو الصورة المعبرة للنص بل جعله الحدث الأبرز في إيصال رؤية الشاعر ، فقد كان اللون هو المفردة التي جعلها لبنة النص الأساسية في التعبير عن خلجاته الشعرية

فقد استخدم الشاعر كل ما هو عميق ودلالي من الألوان الزرقاء والحمراء والأسود، إلا أن ما يهمننا هو اللون الأبيض ، المراد توثيقه (وأبيضُ لُونُ التويجِ)، قام الشاعر بعد هذه المعادلة بتثبيت جانب آخر لإفادة اللون ، أي: أن الألوان الطبيعية مهما اختلفت سبل الإيحاءات عن طريقها تعطي جميعها، ما يمكن أن يفضي إلى الحياة بتفاصيلها المتعارف عليها، لكنه عن طريق اللون يعطي بعداً أوسع لماهية اللون الاعتيادية.

المبحث الثالث

الأسود :

إنَّ لَوْنِ الاسود رمزية معينة وقوية ، فهو رمزاً للموت والظلم وخراب النفوس لما له من انطباعات تؤثر في النفوس من الناحية السلبية كما حاول المسعودي أن يربط بين الحالة النفسية واللون، فعندما يقع البصر على اللون الأسود فإنه ينقبض، وهذا عائد إلى الضدية والمباينة بين نور البصر ولون السواد^(٢٩). إلا إنه وعلى العكس من هذا الانطباع يكون محبباً في بعض جوانبها الشعرية ، فهو يكون ذا دلالة قوية ومحمودة في (الشعر، والعين، والشفاه)، ولا تختلف باقي الألوان عن هذه الركائز النفسية .
يقول الشاعر مضر الألويسي:

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

فقلتُ للشعر لما سالَ ثرثرةً إني وقفتُ.. فقِفْتُ في حضرتي أدبا
أنا سأصنعُ منك الآنَ معجزةً وأدعيك على أشواكهم عنبا
ولتعترفُ بالنوايا السود إن يدي بيضاء لو أومأت للموت لارتعبا^(٣٠)

إن القارئ لهذه القصيدة يجد أن هناك معادلة ضدية في اللون الأسود والابيض ، فالطرف الأول هو الابيض الذي الدال على الفرح والسلام. والطرف الثاني هو الاسود الدال على الموت الحزن.

وعلى اساس هذا التعادل الايجابي في الصورة الدلالية اللونية : يخرج لنا المبتغى الشعري للشاعر من توظيف الدوال اللونية.

فالمعادلة الموجودة والمتقابلة من اللون الابيض والمسحوبة على اللون الاسود والتي مهد بها لرسم الحوار الدائري بينه وبين الشعر والذي يقول فيه:

ولتعترفُ بالنوايا السود أن يدي ... بيضاء لو أومأت للموت لارتعبا،

فالشاعر هنا قد وضع متضادين في إحياءهما، ف(الابيض) الدال على الحياة، قد تضاد مع الاسود الدال على الموت والحزن، فقد قال في بداية البيت (بالنوايا السود)، ثم قال في عجز البيت (لو أومأت للموت)، واللون الأسود هنا يأتي دالة على النوايا التي تكون سوداء وغير نقية، ويأتي أيضاً دالة على الموت، كما أن البياض هنا يمثل النقاء الذي يواجه النوايا السوداء، كما أنه يرمز الى قوة اللون الابيض الذي يشير الى أنه قد ملكه في يده والذي يستطيع دحر السواد به، ويدل أيضاً على الحياة التي تقهر الموت، قد تقابل اللونان (الابيض والأسود) ونشأت جدلية المعاني القائمة على أساس الإحياءات اللونية، مستخدماً الشاعر هنا سبيلاً سلساً لتوصيل المعنى المنشود وتفادي التعقيد الذي يمكن أن يكون في ضمن دائرة الوصف والتعبير لو خليت المساحة الإيحائية من وجود اللون في الصورة الشعرية .

الا أننا نجد شاعر اخر قد استخدم الدلالة اللونية للأسود هو متعارف عن الإحياء اللوني للأسود يقول نجاح العرسان:

وحدي تثرُّرُني الخُطى فوقَ الرصيف ولم تزلْ شفةَ الرصيفِ تثرُّرُ
لفَّ احمرارُ الشمسِ في أهدابه صلَّتهُ عيني والغروب مبكرُ
نبتَ الظلامُ على ربيعِ نهاره واختارَ شرفتهُ السواد الأخصرُ^(٣١)

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

إن القارئ للنص الشعري يجده قد أمتزج بألوان عديدة كل له ايحائه ، ألا أننا نجد اللون الاسود الدال على الظلام الذي انساق الشاعر إليه متأثراً بوجود اللون الأبيض المستتر خلف (النهار)، وقد اقترن اللون الأسود بدالته على الظلام مع اللون الأخضر، حيث مثل اللون الأخضر هنا مفاده الاستمرار والدوام، ليكون بذلك مفاد المعنى المقصود، أن الظلام عندما نبت على ربيع النهار، اختار المكان الذي يرمز للإشراق إذ يطل منه ما يراد إبرازه (الشرفة)، ومن الواضح أن اللون الأخضر تقابل في وجوده مع نفسه، كما تقابل أيضاً اللون الأسود، حيث كان الموضوع الأول له في (ربيع)، ثم الموضوع الثاني وقد ذكر من دون استتار أو تخفي (الأخضر)، واللون (الأسود)، كذلك اللون الأسود قد جاء متخفياً مستتراً بالظلام، بعدها جاء معلناً في الموضوع الثاني (السواد)، وقد رمز باللون الاسود الى قوة الربيع وازدياد خضرته في (السواد الاخضر).

وفي قصيدة للشاعر هيثم الزبيدي،

قد أستخدم اللون الاسود بدلالة عميقة جداً ، فقد أعطى الرمزية للون الاسود بكل ما يعطي هذا اللون من ايحاء للموت والشؤم، فيقول في قصيدته
(بكاء الطاولة):

ما بيننا شيدت يوماً/ألف جسرٍ من خشب/كل جسرٍ كان تابوتاً قديماً حائراً _ والكلم
موتى _

كيف يحملنا على أكتاف موتى آخرين؟! فجأةً .. تساقط الأوراق.. ((مُسودات)) عمرٍ

ضائع

ما بين أعقاب السجائر، والأسى والطاولات.. / بعض تابوتٍ قديم أنت أيضاً
لست طاولةً أبوح فتسمعي/ باكياً كالليل في الحاناتِ قلبي / يشتكي وجع
السكرى..^(٣٢)

إن الشاعر قد تناول في مطلع قصيدته لفظة (الجسور) وهذا الإيحاء الذي اعطاه الشاعر يبين للوهلة الأولى للقارئ أن الجسور هي اداة الوصل بين طرفين وهي تبعث للأمل ، الا الشاعر كانت له رمزية أخرى بذلك فقد رمز لها بأنها التوابيت الخشبية التي هي (توابيت قديمة حائرة)، غير مدفونة، ومستقرة في أرض ما: (كل جسر كان تابوتاً قديماً حائراً)، وأدق تعبير عن وجود التباس بين شكل الحياة ومضمون الموت، هو أن تكون دالة الموت – التابوت – عائمة حائرة غير مستقرة، على ما يختزله _ التابوت _ من دالة للموت، يطلق الشاعر بعدها إعلانته المشوب بالسوداوية: (الكل موتى).

وفي قصيدة بعنوان (ني الطف) للشاعر حسين القاصد إذ يقول:

الماء أسودُ سيدي وقرابهم ..

مثقوبة .. ودموعهم تتكلمُ

فرشوا سجاجيدَ الصلاةِ إمامهم

شيطانهم إنَّ الرجيمَ معممٌ^(٣٣).

يتكلم الشاعر هنا عن معركة الطف والتي هي رمز كان بين الخير والشر، بين معسكر الخير وهو معسكر (الامام الحسين عليه السلام)، ومعسكر الشر بقيادة (عمر بن سعد). فالشعر قد استخدم مفردة (الماء أسود) وهنا يخيل للقارئ هل الماء اسود ؟ ام هناك دلالة اخرى بذلك ، فيتضح من بقية النص أن الشاعر قد رمز للماء وهو أصل الوجود وربطه بالموت فجعل السواد هنا المرتكز للقصيدة فمن اجله قتل العباس وهو اخو الامام الحسين عليهم السلام ويرمز اليه في (وقرابهم مثقوبة) يعزز الصورة بعد هذا بتثبيت لازدواجيتهم المقيتة حين يقول: (ودموعهم تتكلم). إنَّ القصيدة هي خطاب موجه إلى الإمام الحسين(عليه السلام). وهؤلاء المعنيون بالوصف هنا هم من المعسكر المعادي للإمام، فالشاعر قد استفاد من المخزون الصوري الذي يمتلكه القارئ حول قضية الطف وما جرى فيها.

وفي قصيدة بعنوان (أرض السواد) للشاعر مجاهد أبو الهيل، يقول:

تُسألني الحبيبةُ عن بلادي تقولُ الحزنُ في عينيكِ بادي

فهل حقاً تعيشُ بلا بلادٍ	وهل في الأرضِ حقٌّ كالبلادِ
فهذي الأرضُ لم تبخلْ بشبرٍ	على احدٍ ولا ضاقتُ كوادي
تُسألني وتجهلُ أن قلبي	بعمق البحرِ يشكو الماءَ صادي
وتعجبُ إذ تُعاينها تلاشت	قبيل الشوطِ اجمعها جيادي
تُسألني ألم تعشق سواها؟	يجاوبها الفؤادُ هي اعتقادي
ولكفي بلا أرضٍ وقلبي	يجوبُ الكونَ مجنوناً ينادي
تعلمتُ الهوى من كل شبرٍ	بلا وطنٍ غريباً في الوهادِ
يُسلمني الظلامُ إلى ظلامٍ	ويرسلني السوادُ إلى سوادٍ ^(٣٤)

في هذا النص الشعري نرى الصورة الاستفهامية التي تبدأ بها الحبيبة عن بلاد الشاعر معللتاً ذلك بالحزن البادئ على عينه ، فتكون بداية القصيدة بسؤال ينتهي بجواب ،عن طريق خلق اللون الموحى بالحزن كي يكون جواباً لها عن سؤالها في آخر الصورة الشعرية:(يسلمني الظلام الى ظلام ... ويرسلني السواد الى سواد).

(دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق)

حيث أنه قد شكل وزج كل شكواه وحزنه وعبر عنه بالظلام والسواد الذي قد خيم على روحه في عذا النص الاستفهامي .

أما الشاعر عارف الساعدي فذهب بقوله :

فكّوا ثيابَ القرى السوداءً فارتجفتُ

تلكَ القرى إنَّ ثوباً غيره بدلُ

لم تقترحْ أيَّ لونٍ عندما لبستُ

لونَ الحياةِ مثنى في خديها خجلُ

ومشطتُ خصلاً في القمحِ نائمةً

فلم تُمشطْ زماناً هذه الخُصلُ

وأيقظتُ خصرها من نومهِ فإذا

بالخصرِ نهرٌ على أشجارها تَمِلُ^(٣٥)

إن التمازج اللوني الذي عمل به الشاعر في قصيدته الشعرية (فكّوا ثياب القرى السوداء فارتجفت)، فقد عمد الشاعر الى ذكر اللون الاسود في بداية القصيدة كي يبين الشؤم الذي تعيشه القرية فاللون الاسود بدلالته التي تشير الى الموت الرابض على صدرها والتي تحاول أن ترفع ذلك الموت منها بإيجاد معنى للحياة مرتاً أخرى ، فيجئ اللون الاخضر (اللون الأخضر) مقترحاً عن طريق دلالاته الإيحائية (لون الحياة) التي تقابل وجود (اللون الأسود) الدال على الموت.

والشاعر مضر الالوسي يؤكد على الموت ويركز على ذلك أذ يقول :

المسافاتُ كلّها والدروبُ وحدكُ الآن في الفضاءِ تجوبُ

والأمانيّ كالرمادِ احتضارٌ لَوْنُ الموتِ وجهها والنحيبُ

يصعبُ الآن كلُّ شيءٍ علينا الزمانُ البريءُ جبٌّ وذيبُ

والسوادُ البياضُ حزنٌ قميصٍ في عيونٍ سجينها يعقوبُ

كلُّ بيتٍ إلى النجاة ولدناه مسيحٌ وكلّ جسرٍ صليبُ^(٣٦)

جعل الشاعر من قصيدته عبر معانيها حلقة وصل فيما بينها ، فمن انطفاء الاماني في الرماد (والاماني كالرماد)، جاعلاً منها أداة وصل في تلوين الموت للوجه (لَوْنُ الموت وجهها والنحيب)، إذ يكون اللون الأسود هو الحاضر في ذهن المتلقي بعد أن يكون قد ضمّر اتحاد اللون الأسود مع الموت والحزن - النحيب - في ذهنه، كما نجده قد جعل الصورة لدى المتلقي هي صورة متحركة للموت ، كأن الموت كائن حي يتحرك وينتقل وفق المتغيرات التي يريدها ب (أنسنة الموت)، وجعل من ابياته صورة عالقة في ذهن المتلقي عبر تركيز الموت

دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق

بدلالته اللونية، أما في (السواد البياض) فهي دلالة على النقيض للسواد فهنا عيون النبي (يعقوب عليه السلام) قد تحولت من الأسود الى الابيض بسبب حزنه على ولده (يوسف عليه السلام).

الخاتمة:

نستنتج ممّا سبق : إنّ الشعراء قد أجادوا في استخدام الرموز اللونية في قصائدهم ، فجعلوا من الألوان صور حية تعبر عن تجاربهم الشعرية ، كما إنهم جعلوا القراء يلتمسون العمق الدلالي، والصورى في أشعارهم عن طريق الألوان، كما إنهم قد نوعوا في الصور المرتكزة على اللون ، كي يُفعلوا الدور الحركي، والشعورى في قصائدهم.

الهوامش :

- (١) مقاييس اللغة (دل) (٢/ ٢٥٩). لابن فارس تج/ عبد السلام هارون. دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- (٢) لسان العرب (دلل) (١/ ٣٩٩) وما بعدها. لابن منظور. دار الحديث ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- (٣) القاموس المحيط (دلل) (١٠٠٠). للفيزوآبادي. مؤسسة الرسالة. بيروت ط: ٦ - ١٩٩٨م
- (٤) بيان المختصر = (شرح مختصر ابن الحاجب) (١/ ١٢٠) لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني. تج. د. علي جمعة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة ط: ١٤٠٩هـ - ٢٠٠٤م.
- (٥) شرح الكوكب المنير (المسمى بمختصر التحرير أو المختبر المتكسر شرح المختصر) (١/ ١٢٥) لابن النجارتج د. محمد الزحيلي، ود. نزيه حماد. مكتبة العبيكان. الرياض ط: ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. وينظر: التعريفات للجرجاني (ص ٩٣). ط: الحلبي. مصر. ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.
- (٦) علم الدلالة د / أحمد مختار عمر (ص ١١). عالم الكتب. بدون تاريخ.
- (٧) ينظر: علم الدلالة د / أحمد مختار عمر (ص ١٤). عالم الكتب. بدون تاريخ.
- (٨) ، لسان العرب: ابن منظور. بيروت: دار الحديث، ٢٠٠٦م ، مادة (لون).
- (٩) مقاييس اللغة : ابن فارس، أبو الحسين احمد: ، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، فصل اللام والنون وما . يتلها ص/ ٢٢٣.
- (١٠) ينظر: غريال، محمد شفيق وزملاؤه: الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٦ م ، مج ٢ / ص ١٥٨١.
- (١١) ينظر متوج، سمران نديم، ، دلالات اللون ورموزه في الشعر الجاهلي دكتوراه، جامعة تشرين، ٢٠٠٤ م. / ١٩٠ - ص:
- (١٢) ينظر: ابن جني: الخصائص، مج ١، ص ٥٠٩.
- (١٣) ينظر: الإضاءة المسرحية، شكري عبد الوهاب : ٨٥.
- (١٤) ينظر: مروج الذهب، المسعودي: ٢١٨ - ٢١٩.
- (١٥) ينظر: اللغة واللون، د. أحمد مختار عمر: ٢١٠ .
- (١٦) ينظر: ملاحم وأساطير من اوغاريت (رأس شمرا). أنيس فريحة: ١٩١-١٩٢.
- (١٧) فرصة للتلج: ٥٠ .

دلالة الألوان عند شعراء التسعينات في العراق

- (١٨) مالم يكن ممكنا: ٥٤.
- (١٩) المصدر نفسه ، ٧٣-٧٤.
- (٢٠) فرصة للتلج: ١١- ١٢ .
- (٢١) تخيل على ضفة القلب : ١٠٨.
- (٢٢) بين الهنا والحلم : ٢٦ - ٢٥.
- (٢٣) اللون : محمد يوسف همام (١٩٣٠م): القاهرة، مطبعة الاعتماد، ط١.ص٧.
- (٢٤) لون آخر للرماد: ٧٠- ٧١.
- (٢٥) ما رواه الهدهد: ٧- ١٣.
- (٢٦) ما رواه الهدهد: ٥٠- ٥١.
- (٢٧) التفاتة القمر الأسمر: ١١.
- (٢٨) عذابات الصوفي الأزرق : ٣٧- ٣٨ .
- (٢٩) ينظر: مروج الذهب، المسعودي: ٢١٨- ٢١٩.
- (٣٠) لون آخر للرماد : ٨٣- ٨٤ .
- (٣١) فرصة للتلج: ٢٨.
- (٣٢) بكاء الطاولة وقصائد أخرى : ١٣.
- (٣٣) أهزوجة الليمون: ١١٢.
- (٣٤) مرايا العمياء: ٥٣_٥٤.
- (٣٥) جرة أسئلة ١٠٠- ١٠١.
- (٣٦) لون آخر للرماد: ٩٩- ١٠٠.

the significance of colors in the ninetieth poetry in Iraq

Saad Abdul Sada Muzal

Al-Mustansiriya University, Al-Mustansiriya Center

For Arab and International Studies

SaadabdalFreje@uomustansiriyah.edu.iq

Keywords: color. Arabi. indication. Poets

Introduction

The study examines the significance of colors in the ninetieth poetry in Iraq, the symbolism of colors among poets and their symbolic connotations in their poetry. The research was also divided into three sections, the first section is green, the second section is white, and the third is black, and these colors have been chosen and focused on because of their The indications are inspiring and the lesson in the most beautiful images. Green is the symbol of life and pleasure, and it is an expression of life, fertility, development, hope, peace, security, and optimism, and it is the color of spring. The living nature, gardens, trees, branches, and buds. Is the contrast of these two colors is a symbol of death and injustice and the destruction of the soul because of its impressions affect the souls of the negative side.